مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 01 (2021) - ص 287- 296

الرواية وواقع النقد الروائي في الجزائر

The novel and the reality of novel criticism in Algeria

إلهام بن مايسة[1] شريف نهاري[2]
[1] imily22s@gmail.com [2]Yacine203@hotmail.fr
مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة تيارت/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/18 تاريخ القبول: 2020/12/04 تاريخ النشر: 2021/01/15

ملخص البحث

يتناول هذا المقال مسار النقد الروائي في الجزائر، حيث عرف تحولات فرضتها مجريات الأحداث الاجتماعية والتاريخية التي حكمت عليه بالركون أولا إلى المناهج السياقية، قبل الانفتاح على المنجز الغربي الجديد الذي زوده بالأدوات الإجرائية لمقاربة النص الروائي، ومع أنه أبدى نضجا معرفيا في تلقي المصطلحات والمفاهيم، فإنه وقع في مواجهة أزمة تطبيق مقولاتها وتكييفها بما يتناسب وطبيعة النص الروائي العربي. ما استدعى التفكير في تصور منهجي جديد بإمكانه خلق آفاق جديدة.

الكلمات المفتاحية: رواية، المناهج ، النقد الروائي الجزائري.

ABSTRACT:

This article deals with the course of fictional criticism in Algeria, it defined transformations imposed by the social and historical events , condemned it to depend initially on contextual approaches before opening up to the new Western achievement that is provided with procedural tools to approach the narrative text. Although it showed an epistemological maturity in treating terms and concepts, it fell in a crisis of applying its sayings and adapting them to the nature of the Arabic fictional text. This necessitated thinking about a new methodological concept that can create new perspectives.

Keywords: novel, curricula, Algerian fictional criticism

[1] المؤلف المرسل : إلهام بن مايسة

مقدمة

تميزت الرواية بكونها الجنس الأدبي الأكثر تطورا بانفتاحها على مختلف الأنواع الأدبية، والتعبير الأكثر صدقا عن التجربة الإنسانية لقدرتها على محاكاة الواقع والوقوف على مشكلاته، وقد نشأت الرواية في الجزائر_وعلى غرار نظيراتها في العالم_ استجابة لتداعيات المحيط الاجتماعي، حيث أغرت الكتاب واستقطبت اهتمام المؤلفين، ليخلف هذا الإقبال على الكتابة الروائية كمًّا من النصوص، عرفت تحولات عميقة مست الشكل والمضمون، وقد حفز هذا التطور المهر النقد الأدبي، الذي سارع إلى استحداث إجراءات منهجية جديدة للإحاطة بالظاهرة والكشف عن ملابساتها، فتنوعت المناهج النقدية بين سردية بنيوية، وأخرى سيميائية، أخذت على عاتقها مسؤولية مقاربة الخطاب الروائي من خلال التعرض لمستويات النص، قصد الكشف عن البنيات الداخلية والتركيز على الدراسة التحليلية لإضاءة الجوانب الفنية والجمالية.

تمحورت إشكالية البحث حول كيفية استقبال وتلقي النقد الروائي في الجزائر الوافد الغربي ومدى مراعاته خصوصية النص العربي.

ليتولى هذا المقال البحث في مسار النقد الجزائري في علاقته بالنص الروائي، والوقوف عند أهم القضايا التي تناولها بالدراسة والتحليل، ليخلص إلى أهم الإشكالات التي صاحبت تطبيق المناهج الحداثية الغربية على النص الروائي العربي.

1_الرواية في الجزائر بين النشأة والتطور:

نشأت الرواية في الجزائر تزامنا والتحولات الجوهرية التي عرفتها البلاد بعد الاستقلال "حيث ظهرت بكثافة، مصاحبة التغيرات الاجتماعية والتحولات الديمقراطية بكل إنجازاتها الثورية، بل كانت الوجه الآخر، الفني طبعا، لهذه التحولات الثورية، وهذا ما يجعلنا نقول إن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية - بعد الاستقلال- كانت بمثابة الوليد الشرعي الذي أنجبته التحولات الثورية بكل تناقضاتها"[1]، ما جعل الرؤية الإيديولوجية تطغى على موضوعات المنجز الروائي الجزائري الذي اتخذ خطابا يسعى إلى إنجاح المشروع الوطني بالترويج لمبادئ النظام الاشتراكي ومزاياه، فبرزت خلال هذه الفترة أعمال كل من : عبد الحميد بن هدوقة في "ريح الجنوب"، و محمد عرعار في " وما لا تذره الرياح، والطاهر وطار من خلال : "اللاز" و "الزلزال" .

خضعت الرواية الجزائرية للفكر الإيديولوجي في فترة السبعينيات، شأن باقي الأجناس الأدبية التي انطلقت من فكرة الفن الذي يشكل انعكاسا للواقع، فحملت رؤى فكرية تندرج ضمن مشاريع النظام الإشتراكي واشتغلت على الترويج لها ولأهدافها الرامية للنهوض بثورات تحررية على غرار: الثورة الزراعية، الصناعية، والثورة الثقافية، قبل أن تعرف طريقها نحو تبني رؤى جديدة استمدت مادتها من التحولات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها سنوات الثمانينات، فكتب الحبيب السايح رواية"

زمن التمرد"، وكتب الروائي جيلالي خلاص روايتي: "رائحة الكلب"، و"حمائم الشفق"، كما كتب مرزاق بقطاش روايتي "البزاق "، و"عزوز الكابران"، وأخرج رشيد بوجدرة عدة أعمال روائية منها راوية "التفكك"، و" المرث"... وغيرها.

انفتح النص الروائي المعاصر في الجزائر على القضايا الإنسانية وتخطى حدود بيئته نحو الإقليمية والعالمية، فتجاوز القضايا التي ترتبط بمساءلة التاريخ، والمجتمع إلى طرح أخرى تعكس آثار السياسات الاقتصادية، والثورة التكنولوجية على الأنماط الحياتية والفكرية، فتجسد خطابات الانتماء والهوية، والاختلاف والغيرية، المواطنة وسبل التعايش، وغيرها من الموضوعات التي أفرزتها العولمة ورهانات العصر الحالي، فأدت إلى ظهور مفاهيم حياتية جديدة، جعلت من الخطاب السردي أنجع الطرق الفنية والأساليب الجمالية تعبيرا عن هذه التحولات العميقة التي ساهمت في إثراء الانفتاح المعرفي والتطور الحضاري والتحرر من هيمنة الإيديولوجي، نحو إنتاج نص جديد ما بعد حداثي.

2_نقد الرواية في الجزائر على ضوء الدراسات السياقية:

تأثر النقد الأدبي في الجزائر مع بداية ظهوره التي جاءت متأخرة بفعل الحجر الثقافي الذي مارسه المستعمر إبان فترة الاحتلال على اللغة العربية وآدابها بنظيره المشرقي، حيث ساهمت المقالات المنشورة في المجلات والصحف العربية في بلورة رؤية نقدية جزائرية، اتسمت بالجزئية حينا، والسطحية العامة حينا آخر، إلى غير ذلك من الأمور التي تدل على نقص وعدم اكتمال، وهو أمر طبيعي جدا وله ما يبرّره[2] بحكم حداثة التجربة وعدم إتمامها مرحلة الاكتمال والنضج، فغلبت عليه الانطباعية، إلى جانب المنهج التاريخي والبلاغي، قبل أن يعرف انتعاشا بمجيء النقد الإيديولوجي الاشتراكي الذي تبناه أستاذة أكاديميون على غرار: محمد مصايف، وعبدالله الركيبي، صالح خرفي، واسيني لعرج، محمد ساري ... وغيرهم

حققت الكتابة الروائية فترة السبعينيات تراكما فنيا على ضوء التأثر بالفكر الاشتراكي الماركسي الداعي إلى ثورات البناء والتشييد، وكان لزاما على النقد الأدبي في الجزائر أن يساير هذا المد الإبداعي في حدود ما تتيحه له المناهج الخارج نصية سواء كانت إيديولوجية، تاريخية، أو واقعية، من إمكانات لمقاربة النصوص الروائية، ليتخذ من موضوعاتها التي حملت بعدا اجتماعيا بحتا المرتكز الذي على أساسه يمكن تصنيفها وتمحيصها "فتفسير النص في ضوء الشروط الاجتماعية هو إقرار بمبدأ التوازي والتماثل الذي يجعل من الأعمال الأدبية في نهاية المطاف تعبيرا عن بنية مجتمعية"[3] حيث اشتغلت على إبراز ملامح الوطنية والوفاء لمبادئ ثورة التحرير والرؤيا الاستشرافية لمستقبل الجزائر وتطلعات شبابها.

ارتكز النقاد الجزائريون في مقارباتهم النص الروائي في الجزائر على محاولة التصنيف بحسب الاتجاهات السائدة آنذاك، فتجلت هذه الدراسات بشكل أوضح في أعمال كل من محمد مصايف في مؤلفيه (الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام) ثم (فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث)، والأعرج واسيني في (اتجاهات الرواية العربية في الجزائر)، إلى جانب كتاب أبو القاسم سعد الله (دراسات في الأدب الجزائري الحديث)، وعبد الله الركيبي في (تطور النثر الجزائري الحديث) و(القصة الجزائرية القصيرة)، حيث أثيرت قضايا الشكل والمضمون، الالتزام في الأدب، والأدب الهادف.

يعتبر **محمد مصايف** من أوائل النقاد الذين تناولوا مسألة الرواية في الجزائر بالبحث والدراسة، حيث اشتغل في كتابه (الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام) على الروايات الجزائرية التي صدرت في الفترة الممتدة ما بين 1972 و1978، بتصنيفها إلى اتجاهات بحسب موقفها الإيديولوجي الذي يتمظهر في اتجاهين أساسيين حددهما العنوان، واقعية اشتراكية وأخرى واقعية نقدية[4]، إلى جانب قضية الالتزام في الأدب الذي يعتبره " اعتناق هذا الأديب شاعرا كان أم كاتبا لموضوعات وطنية أو إنسانية أو مذهبية عن اختيار. فالالتزام قبل كل شيء اختيار شخصي دون ما ضغط خارجي، فالأديب الملتزم يختار موضوعه وطريقة تعبيره بحرية كاملة، لأنهما يوافقان مذهبه في الحياة، يلبيان نزعة عميقة في نفسه"[5] وهو ما توفر في النماذج التي اختارها، حيث عالجت قضايا الثورة التحريرية وما ترتب عنها من آثار اجتماعية ونفسية واقتصادية.

اعتمد محمد مصايف تطبيق المنهج الاجتماعي في مقاربته للرواية الجزائرية، بغية الكشف عن أبعاد الواقعية الاشتراكية التي عرفتها الجزائر عقب الاستقلال على إثر تبنيها مبادئ النظام الماركسي الاشتراكي، فغدت مواضيع النصوص الإبداعية الروائية حافلة بقضايا الوطنية ومسايرة الثورة الاجتماعية وشكلت انعكاسا للواقع السياسي والاجتماعي. غير أن المحاور التي انتهى إلى تحديدها: الرواية الإيديولوجية، الرواية الهادفة، رواية التأملات الفلسفية، جعلت القارئ يقع في إشكالات والسبب في ذلك هو عدم ضبط المصطلحات[6]، وتداخل هذه الأنواع فيما بينها، فالمنظور الإيديولوجي ليس حكرا على روايات دون أخرى، بل قد تحمل كل رواية منظورا إيديولوجيا معينا ومثله التأملات الفلسفية، ناهيك عن الضبابية التي يحملها مصطلح الرواية الهادفة وعلاقته بالمفهومين السابقين، إلا أن هذه الإشكالات لم تنف عن هذه الدراسة النقدية اجتهادها في تصنيف الروايات وتحديد أنماطها والوقوف على متونها.

تقترح المقاربة النقدية (اتجاهات الرواية العربية في الجزائر)التي أسهم من خلالها **واسيني الأعرج** بعرض تصنيف آخر للرواية الجزائرية، وإن لم يختلف عن سابقه إلا في مدى العمق ودقة التحليل الذي ارتبط على وجه أصح بالبحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية ، فقد صنف

الأعرج الرواية الجزائرية ضمن أربع اتجاهات هي: الاتجاه الإصلاحي، والاتجاه الرومنتيكي، والواقعي النقدي، ثم الواقعي الاشتراكي[7]. ويؤكد أن تصنيف رواية ما في اتجاه محدد لا ينفي حضور باقي الاتجاهات، متجاوزا بذلك مجموع الإشكالات التي طرحتها مقاربة محمد مصايف السابقة، مشيرا إلى دور السياقات والأطر التاريخية في فهم تطور الاتجاهات الروائية.

خص **أبو القاسم سعد الله** في كتابه (دراسات في الأدب الجزائري الحديث) الرواية بعنصر تناول فيه "شخصية البطل في الأدب الجزائري"[8] بنفس الرؤية النقدية ذات المنظور الإيديولوجي حين أكد أن الظروف التي كانت تعيشها الجزائر قبيل الاستقلال قد ساعدت على تبني المذهب الواقعي الذي أتاح للروائيين مجال التعبير عن واقع البلاد "ومن هنا لا نعجب حين نرى أولئك الأبطال الذين يعالج الكتاب من خلالهم المشكلات يصورون الحياة الاجتماعية ببؤسها وحاجتها وشعورها بالمرارة وثورتها على الظلم والتعسف، إنهم أبطال واقعيون يعيشون في مستوى الشعب المادي"[9]، فعلى الرغم من تمحور بحثه حول جزئية معينة في الرواية تخص شخصية البطل إلا أنه قدم دراسة تزاوج فيها كليتها بين الجانب التاريخي والاجتماعي في النقد الأدبي.

تنوعت المناهج السياقية التي أطرت النقد الروائي في الجزائر، فتراوحت بين المنهج التأثيري الانطباعي، والمنهج النفسي الذي كان حيز استعماله ضيقا، أما المنهج التاريخي فقد تولى عملية تأريخ الحركة الأدبية في الجزائر وتدوين أعلامها، في حين تبنى أغلب النقاد المنهج الاجتماعي في مقارباتهم الروائية، بالتركيز على الواقعية الاشتراكية التي استقطبت أقلام الأدباء وأنظار النقاد في ظل المتغيرات التي عرفها النظام المجتمعي، فاجتهد النقاد في الوقوف على النصوص الروائية وتصنيفها بحسب مضامينها في محاولة جادة إلى تأسيس نقد روائي في الجزائر يشكل قاعدة أساس ومرجعية معرفية للدراسات اللاحقة.

3_السرديات عند الغرب والانفتاح على النسق:

شهد مطلع القرن العشرين وعلى إثر التحولات العميقة التي مست الأبحاث اللغوية وأثرت الدراسات الأدبية ميلاد علم السرد الذي استند على ما جادت به أبحاث الشكلانيين الروس في مجال المحكيات على وجه الخصوص، أبرزها دراسة "فلاديمير بروب **V. Propp**" للحكاية الشعبية التي أضحت منطلقا ومرجعا قاعديا للكثير من الأبحاث، فقد انصب "اهتمام الشكلانيين بالأنساق البنائية في العمل الحكائي انطلاقا من إقامة تماثل بين أنساق تركيب المبنى الحكائي وبين الأنساق الأسلوبية في الاستعمال الجاري للغة. وهذا ما نعاينه بجلاء من خلال أبحاث شلوفسكي عن بناء القصة القصيرة والرواية وتوماشفسكي في دراسته عن نظرية الأغراض"[10] لتعرف دراسة المحكي منعطفاً جديدا، فتحت المجال أمام رؤية جديدة ما فتئت المناهج الحديثة تنهل من معينها.

ساهمت ترجمة أعمال الشكلانيين الروس في بلورة الوعي النقدي عند الباحثين المشتغلين على السرد وإثراء الساحة النقدية بأوروبا وأمريكا في مجال السرديات، إلا أن تجاوز الاشتغال على المتون الخرافية والأسطورية نحو البحث في الأنواع القصصية الحديثة كالرواية والقصة القصيرة، استوجب تأسيس علم مستقل بالسرد أطلق عليه "تودوروف T.Todorov" مصطلح (السردية) إذ "يعد علم السرد أو السردية (Narratology) من المصطلحات التي دخلت دائرة التوظيف النقدي تحت تأثير البنيوية، هدفه توفير الوصف المنهجي للخصائص التفاضلية للنصوص السردية، ليشمل الجوانب النظرية والتطبيقية في دراسة منهجية للسرد وبنيته"[11] ما فتح مجالات البحث أمام رواد النقد الجديد كل من "جوليا كريستيفا J. Kristeva " و"تزفيتان تودوروف T. Todorov" و"فيليب هامون F. Hamon" و"جيرار جينت G. Genette"، "رولان بارث R. Barthes".. وغيرهم، ممن اشتغلوا على النص الروائي بغية الكشف عن بنياته الدلالية والجمالية فقد اجتمعت جهودهم لتحديد مسار نظرية السرد البنيوية القائمة على تحديد المكونات البنيوية للخطاب السردي.

اتخذت السرديات بوصفها علما يختص بدراسة السرود بكل أنواعها تعريفا يرتبط في العموم بالطريقة التي يُحكى بها الخبر، والكيفية التي يُعرض بها العمل القصصي أيا كان نوعه، فالقصة الواحدة يمكن سردُها بطرق متعددة، في حين "أقر "جونات" (Genette. 1991) بأن السرديات في جانبها الخطابي، من حيث هي دراسة للخطاب القصصي، أو في جانبها الغرضي، باعتبارها تحليلا لمكونات الحكاية التي يرويها ذلك الخطاب، من المفترض أن تدرس كل القصص التخييلية وغير التخييلية، لكنها قد اتجهت بشكل شبه تام إلى السرد التخييلي"[12]. حيث تتسنى لها دراسة تنوع أساليب الخطاب التخييلي وغير التخييلي قصد الإحاطة بالمنتج السردي الذي ينأى بوصفه فرعا أدبيا تنتظم خصائصه الداخلية وفق نسق منعزل عن كل إسقاط خارج على النص.

4_تلقي النقد الجزائري للسرديات

شهد النقد الأدبي في الجزائر تحولا عصف بمرجعيته النقدية القائمة على مقاربة النص الأدبي ضمن سياقات محيطه الخارجي، حيث كان الفضل للنقد القادم من الشرق في التقعيد له، ومنه وبناء على معطياته، اكتسب النقد في الجزائر القدرة على التحليل ومجابهة النصوص الأدبية، ما جعله يستغني عن هذه المقاربات حين كشفت عن قصورها في تناول الأثر الأدبي ولم تعد ذات معنى في الوقوف على الظاهرة الأدبية التي أصبحت على ضوء الدراسات اللسانية تطرح رؤى مخالفة، فتطالب بدراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، والبحث في أدبية الأدب وقضايا الشعرية، وجعل النص المغيب في الدراسات السياقية الخارج نصية المرتكز ومحط الاهتمام، بالبحث في أدبيته والكشف عن بنياته، يراعى فيه الجانب الجمالي وبناء الشكل الفني بعيدا عن كل معطى خارجي.

وقد سجل المنهج البنيوي بوصفه منهجا نسقيا أحدث ثورة في المفاهيم والرؤى خاصة في المجال الأدبي أول ظهور له على الساحة النقدية الجزائرية مطلع الثمانينات، وهو ما أكده **شريبط أحمد شريبط** في بحثه الموسوم ب (النص النقدي الجزائري من الانطباعية إلى التفكيكية) حيث أرخ للحداثة النقدية في الجزائر بسنة 1983[13] تاريخ صدور كتاب (النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟) **لعبد الملك مرتاض** الذي انتقد بشدة المناهج السياقية وكان من أوائل الداعين إلى تبني هذا الطرح الجديد مصرحا :" ألفينا بعض النقاد الجزائريين لا يستحي من الباطل أن يدعو جهارا إلى تبني في جامعتنا اليوم، وفي أواخر القرن العشرين، بعض المناهج التي كانت سائدة في أوربا منذ قرن أو أكثر من قرن، ولم يعد اليوم أحد من النقاد الحقيقين يتقبلها في أي شكل من أشكالها." [14]. لتليه جهود بنيوية أخرى ل **عمر مهيبل** في كتابه (البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر) **والزاوي بغورة** في كتابه (المنهج البنيوي بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات).[15]...

وجد النقد الحداثي في الجزائر طريقه نحو الانتشار أكاديميا من خلال المذكرات والأطروحات الجامعية لما يتّسم به هذا النقد من خصوصية معرفية متخصصة وجدت بين أسوار الجامعة الوسط المناسب للنمو والتطور، ولكون مجمل النقاد الذين رفعوا لواء الحداثة النقدية هم من أساتذة الجامعة على غرار عبد الملك مرتاض، إبراهيم رماني، عبد الحميد بورايو، حسين خمري، سعيد بوطاجين، رشيد بن مالك، عمر عيلان، الطاهر روابنية، الطاهر جاووت، عبد القادر فيدوح، إبراهيم صحراوي... وقد مكنتهم المعرفة الواسعة باللغة الفرنسية أداء وترجمة من الاطلاع على النصوص النقدية في محاضنها الأصلية، ما فتح الباب أمام الباحثين لخوض غمار مجال الدراسات البحثية الأكاديمية بغية مقاربة النصوص الشعرية والسردية على حد سواء.

5_ موقف النقد الجزائري من السرديات

وقع النقد الجزائري المعاصر _وعلى غرار نظيره العربي_ في مواجهة جملة من الإشكاليات، كان أبرزها الاضطراب الذي أحدثته ترجمة المصطلحات والمفاهيم الأساسية التي أثقلت المحمول النقدي بما لا يمكن استيعابه. أما أهمها فنتج عن سوء فهم المناهج النقدية في أصولها الفلسفية وصعوبة تطويع إجراءاتها على النصوص العربية، ذلك أن "عرضها مفصولة عن السياق المعرفي ومجموع مكونات الذات وحواجز الإبداع، يجعل التناول مبتورا لا يفضي إلى رؤية صحيحة ومتكاملة، تبلور حقيقة المنهج، وتتيح التحكم فيه بحل إشكاليته"[16] ما جعل قضية الاستفادة من التعدد المنهجي تطرح نفسها حلا للتخلص من قيود التقعيد والمعيارية الصارمة التي لا تناسب طبيعة النصوص العربية، فلا "يوجد منهج كامل مثالي لا يأتيه الضعف ولا النقص من بين يديه ولا من خلفه" [17] كما فتحت باب النقاش واسعا حول إشكالية المنهج النقدي في مقاربة النصوص الأدبية خاصة السردية منها.

شغلت قضيّة المناهج النّقديّة تفكير عبد الملك مرتاض، الذي ظل السؤال عن أيها الأنسب يراوده، فيطرحه في كل مرة "أيّ منهج إذن هذا القادر على ما نشاء منه أو نشاء له؟ (...) وإنا إذ نطرح هذه الأسئلة الحيرى؛ فإنما لكي نبدي شيئا مما يتأوبنا من هذا القلق المنهجيّ _ الذي يساورنا كلّما جئنا إلى عمل سردي" [18]، لتطغى إشكاليّة توظيف المنهج في قراءة النّص الروائي على انشغالاته، فيعبر عنها من خلال مقدمة كتابه (تحليل الخطاب السّردي) التي حملت طرحه (التّحليل الروائي... بأيّ منهج؟) و استهلها بالتساؤل حول "أيّ منهج هذا الذي يستطيع استيعاب هذا العالم المعقد، المتشعب، والمتغير العجيب معا؟" [19] لتنتهي به الحيرة إلى تبني التّركيب المنهجيّ بالمزاوجة بين أكثر من منهج، إذ "لا حرج في النّهوض بتجاربَ جديدةٍ تمضي في هذه السّبيل بعد التّخمة التّي مُني بها النّقد جرّاء ابتلاعه المذهب تلو المذهب، خصوصاً في هذا القرن أيّ القرن العشرين"[20] فيفسح مجالا أرحب لاستغلال مختلف الإجراءات والأدوات والوقوف على كوامن ودرر النّص الأدبي.

يطرح محمد ساري في مقدمة كتابه (الأدب والمجتمع) جملة من الانشغالات حول "المناهج الغربية بين آلية التطبيق والاستثمار الخلاق" التي أثارت لديه العديد من التساؤلات حول "هل الأدب العربي هو بدوره نسخة للأدب الغربي؟ وهل نكتفي باستهلاك النظريات الوافدة وتطبيقها تطبيقا آليا؟"[21] يتناول من خلالها ظاهرة توظيف المناهج الغربية في نقد الأدب العربي على خلفية إغفال دور النسق الاجتماعي الذي رافق صاحب النص أثناء الكتابة وارتباطه بالمحيط الإنساني والمادي حوله، فإذا "انطلقنا من تعريف الأدب كتصوير للحياة المحيطة بالكاتب، فإن الأدب العربي سيختلف حتما عن نظيره الغربي. ويبقى التأثير كبيرا على مستوى التقنيات الأدبية المستخدمة في كل جنس أدبي مثل تقنيات الرواية الحديثة مثلا، ولكن هل التقنيات وحدها، ستجعل المبدعات العربية نسخة طبق الأصل للمبدعات الغربية؟"[22] ليؤكد على وجوب مراعاة خصوصية المجتمع الحاضن في مقاربة النصوص الأدبية تفاديا للسقوط في التطبيق الآلي لنظريات وضعت أساسا لدراسة النص الغربي [23]، ومن دون رفض أو تجاوز للوافد الغربي إنما تكييفه على الوجه الذي يخلق حالة تأثر وتفاعل أكثر إيجابية.

يتناول سعيد بوطاجين مسألة أثر (السرد والسرديات) على الإبداع الروائي في كتابه (علامات سردية)، مؤكدا أن الاستفادة من الدراسات الغربية مباشرة أو عن طريق الترجمة قد أفضت إلى نضج في التعامل مع المفاهيم والمصطلحات في الجانب التنظيري الذي يتخذ النصيب الأكبر من المقاربة النقدية، أما على مستوى التطبيق فيتساءل حول ما يقدمه علم السرد للرواية، إذ "جنت طبيعة المنهج، في بعض جوانبها، على العمل الروائي، عندما اعتمدت التطبيقات الآلية لمنظورات غيرية لها ما يسوغها مرجعيا ووظيفيا وتداوليا"[24]. فتغرق المقاربات النقدية في التنظير حتى تغدو الرواية ثاني اهتمامات الناقد، ما يخلق فجوة بين النقد والنص الروائي، ومن ثمة يضيف "أصبحت مسألة البحث عن استراتيجية جديدة لربط علم السرد بالرواية الجزائرية مسألة أكيدة سيكتشف

ضرورتها نقاد الرواية من أجل التقريب بين عالمين متباعدين ومتنافرين إلى حد كبير"[25]. فالنقد السردي بحاجة إلى التحرر من فكرة البحث في الكيفيات المتعلقة بالمعنى وبالخطاب _والتي لا تقدم أي إضافة للرواية ولا للروائي _ والعمل على مراجعة منطلقاته وأهدافه بما يتوافق وطبيعة النصوص الروائية الجزائرية ومراعاة خصوصيتها.

خاتمة

وفي الختام يتجلى لنا كيف :

_ تأثر النقد الأدبي في الجزائر بعد الاستقلال بنظيره المشرقي، حيث غلبت عليه الانطباعية، إلى جانب توظيف المنهج التاريخي وبعض الأحكام البلاغية. ليستفيد فترة السبعينات من المناهج الخارج نصية: الإيديولوجية والتاريخية والواقعية في مقاربة النصوص الروائية التي تبنت مضامين الواقعية الاشتراكية والفكر الماركسي.

_ اشتغل النقد الجزائري إلى نهاية الثمانينات على محاولة تصنيف الروايات بحسب الاتجاهات السائدة أنذاك، حيث أثيرت قضايا الشكل والمضمون، الالتزام في الأدب، والأدب الهادف.

_ عرف النقد الجزائري مطلع القرن العشرين بانفتاحه على المناهج الغربية المعاصرة جملة من الإشكاليات، ارتبطت أساسا بترجمة المصطلحات النقدية وعدم استيعاب المفاهيم الأساسية للمناهج الغربية في أصولها الفلسفية.

_أدت صعوبة تطويع إجراءات المناهج الغربية وتطبيقها على النصوص الأدبية العربية، خاصة السردية منها إلى فتح باب النقاش حول إشكالية المنهج النقدي في المقاربة التطبيقية والبحث عن تصور منهجي جديد يتيح للنقد الجزائري مقاربة النص الروائي بناء على خصوصيته، وضمن بيئته العربية بعيدا عن المرجعية الفلسفية الغربية.

الحواشي:

[1] _ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. ص88

[2] _ ينظر عمار بن زايد: "النقد الأدبي الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1990ص.7

[3] _ عمر عيلان, النقد العربي الجديد.منشورات الاختلاف. الجزائرط1, 20110. ص202

[4] _ينظر محمد مصايف. الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام. الدار العربية للكتاب،الجزائر. 1983، ص11

[5] _ محمد مصايف, فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, ط2, 1981. ص194

[6] _ينظر عمار زعموش. النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضاياه واتجاهته. جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر. 2001 , ص141

[7] _ينظر واسيني الأعرج, اتجاهات الرواية العربية في الجزائر. ص10وص11

[8] _ أبو القاسم سعد الله.دراسات في الأدب الجزائري الحديث. دار الرائد للكتاب، الجزائر, 1977. ص55

[9] _ المرجع نفسه . ص57

[10] _ سعيد يقطين. تحليل الخطاب الروائي. المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر والتوزيع.الدار البيضاء المغرب. ط3. 1997. ص29

[11] _ يان مانفريد. علم السرد. مدخل إلى نظرية السرد. تر. أماني أبو رحمة. دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع. سوريا. دمشق. ط1. 2011. ص7

[12] _ محمد القاضي وآخرون. معجم السرديات. دار محمد علي للنشر, تونس. ط1. 2010. ص 252

[13] _ تاوريريت بشير، مناهج النقد الأدبي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2008 ص49

[14] _ عبد الملك مرتاض. أ,ي, دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. 1992 ص28

[15] _ تاوريريت بشير، مناهج النقد الأدبي المعاصر. ص49

[16] _ عباس الجراري , خطاب المنهج , منشورات السفير, مكناس. المغرب. ط01. 1990، ص 20

[17] _ عبد المالك مرتاض. التحليل السيميائي للخطاب الشعري. دار الكتاب العربي. الجزائر. 2001. ص18

[18] _ عبد الملك مرتاض. تحليل الخطاب السّردي. ديوان المطبوعات الجامعيّة. الجزائر. ط1 1995. ص3

[19] _المصدر نفسه، ص3

[20] _ المصدر نفسه، ص6

[21] _ محمد ساري. الأدب والمجتمع. دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر. ط1. 2009 . ص5

[22] _المصدر نفسه. ص5_6

[23] _المصدر نفسه. ص6

[24] _ السعيد بوطاجين. علامات سردية. منشورات الاختلاف. الجزائر , 2019, ص256

[25] _ المصدر نفسه. ص258